الطريق إلى إيثاكا

. محمد القيسي .

موت عازف الجيتار

عَلَّقْتُ جيتاري على الأشجارِ.
نَامتْ كلُّ عَينٍ ها هُنا،
نَامتْ عصافيرُ الحدائقِ،
والنوافذُ أطرقتْ في الصَمت.
نَامتْ نَاسجاتُ الصُوفِ في الشُرفاتِ.
نامَ العَازفونَ على الضَنى
وَعلى السُطوحِ غَفا الحمَامُ.

وَالظلُّ نَامَ،
وَنَامَ قَنَّاصُ الحياةِ إلى نُصوصِ كتابِه.
أَما الذينَ رَمَوْا حِجارتَهمْ
عَلى طَرفِ المدينةِ،
غَاضبينَ،
فَلمْ ينَاموا.

عَلَّقْتُ جيتَاري
وَرُحْتُ أُمشِّطُ الأَضلاعَ وَالطُرقاتِ
أُحصي غَيْمَ مَنْ رَكَضوا
وَراءَ غَزالةٍ،
وَتَسلسلوا في الريحِ أَجنحةً،
وَحَاموا.

عَلَّقْتُ جيتَاري، إِذَنْ،
وأَقمْتُ حيثُ هُمو أقاموا.

جَرحَى أَغانيهمْ
جَواري كُلُّ هذا الليلِ يَغمُضُ،
وَالنهارُ هُنا يرنُّ،
ولاَ غَمَامُ.

يَبُسَتْ بَراعمُه،
كما يَبُسَ الكَلامُ!

وَزَّعتُني ما بَينَ نَافذتَيْنِ،
في هَذا المدَى الأَرضيِّ قُدَّامي،
ومَا استَودعْتُ قلبي ذِمَّةَ الزيتونِ حتى
غَصَّتِ الأَوتارُ،
وَارتَجفتْ على أَنحائِه،
الأَرضُ الحَرامُ.

حتَّى أقول وصلتُ

أُقيمُ،
لا أَقولُ في مَدينةٍ،
ولا أَقولُ في مكانْ.

أَقيمُ في بيتٍ مُؤجَّرٍ في الريحِ،
ليسَ لي إِسمٌ على بابٍ،
وليسَ لي جُدرانْ.

أُفيقُ أَحيانًا
فَلا أَرَى لي وجهةً
ولاَ أَرى جيرانْ.

رُوحي تَلوبُ في مَدى الغاباتِ،
حَيثُ لا سَريرَ لي
وأُسْرَتي الأَغصَانْ.
أُقيمُ فيَّ لاجئًا
ولا يَحينُ لي أَوانْ.
حَتَّى أَقولَ مرةً:
ها أَنتَ قد وَصَلتَ صفحةً،
وَصَارَ في الإِمكانْ
أَنْ تَربحَ الخسارةَ التي تَلألأتْ
في بُنِّكَ الأَسودِ،
وَالفنجَانْ!

أُقيمُ،
لا أَقولُ في مَدينةٍ،

ولا أَقولُ في مَكانْ.

لَمَّا يَحِنْ بَعدُ إِذنْ
يَا صَاحبي بيتٌ،
ولم يَحِنْ
عنوَانْ.

عرق ليمون

لا أَنتِ لي بَيتٌ،
ولا عنوانُ
إِنْ سَكَتَ اللِسَانُ.

يا أُختُ ضَمّدي يَديكِ بالحنَّاءِ،
وأَرْسلي لغُربتي
عِرْقًا منَ الليمونِ،
قد يَصحو هُنا
إِنْ شمَّهُ السكرانُ.

غلاف بينيلوب

تَنامينَ وَحدَكِ خلفَ غلافٍ سميكٍ،
أُسمِّيهِ تَابوتَكِ الحيَّ آنًا
وآنًا
أُسمِّيهِ بَيتَ النَدامَةِ،
لا يَخفقُ الطينُ فيه،
ولا يَستوي عندَ حَالْ.

تَنامينَ وَحدَكِ،
لا نَوْلَ بينَ يديكِ إِذنْ
لابتكارِ الأَقاليمِ.
أَعرفُ أَنَّ البلادَ غلافٌ،
وَأَنِّي وَأَنَّكِ في الحالتينِ يَتيمانِ،
نَدفنُ أَحلامَنا
في الرمالْ.

وَأَعرفُ ما منْ سَماءٍ
نَدقُّ شَبابيكَها،
أَوْ نجيءُ الحدودَ.
وقد نَترامى يَتَامى
قريبًا منَ النهرِ،
نَهوي عَصافيرَ قتلى
وَيَحْرُمُ حتى السُؤالْ.

على أَنَّ قلبي
حَفيفَ الأَعالي يَشفُّ.
وَأَعرفُ أَنِّيَ نِصْفٌ،
وَأَنَّكِ نِصْفُ
وَأَنَّا انشَطَرنَا إِلى جهتَيْنِ،
فغرَّبَ إِلْفٌ،
وَشرَّقَ إِلْفُ.

حزنُ يولسيس

أَنجزْتُ بينَ يَديكِ البلادَ البعيدةَ،
أَنْجزْتُ أَشجارَها تَتعانقُ
مَنفًى
وَعائلةً
في الأَباريقِ، والمزهريَّاتِ،
تَعلو
وتَعلو.

وَسَوَّيتُ بين يَديكِ،
جَنائنَ منْ فضَّةٍ،
وَجُنونًا يليقُ بما
يَتدفَّقُ في نَهرِ خَصْرِكِ،
منْ سُندُسٍ،
وجَداوِلَ.

سَوَّيتُني خَالصًا منْ سواكِ،
فطُوبى لِنومكِ يَنمو

وَطُوبى لطيرِ النهارِ يحطُّ على
شُرفتي
ريشَةً
ريشَةً
وَهوَ يَصحو.

ادّعاءات هوميروس

ليسَ ما أَنزلُ إيثاكا
ولا بَيتيَ هذا البيتُ.
مُنذُ الفَجرِ لم أَعثرْ على النَوْلِ،
أَو الخيطَانِ.
لم أَعثرْ على المرأة،
لا أكوابَها
أَوْ مَا يَشي بالطيبِ في
هَذي الخزانات.
ولا أَشْهَدُ في مرآةِ بينيلوبَ وَجهي
مَنْ أَنا في هذه السَّاعة!
لا أَسوارَ طروادةَ خَلفي أَو أَمامي
ليسَ منْ مَجرًى لشيءٍ.
فلماذا يَدَّعيني الآنَ هوميرُ،
ويُعطيني منَ الأَحداثِ مَا
لا أَستطيعُ الزَعْمَ؟
لا أُكنَى بيوليسيسَ،
لم أَركبْ سَنَامَ البحرِ،
مَا شَاركْتُ في حَربٍ،
ولاَ نَامَ الغُزاةُ على سَريري
كلُّ ما في الأمرِ أَنِّي
في طريقي نحو إيثاكا
وأَنِّي لم أَصِلْها.

عصافير بيت لحم

أربعةُ عصَافيرَ تُغَنِّي في المزرعةِ،
وتَلعبُ بينَ الأَغصانْ.
أَربعةُ عَصافيرْ
تَلعبُ في الجنةْ.

أَربعةُ عَصَافيرْ
كَانتْ تَلعَبُ.

أَربعةُ عَصَافيرْ
لَمعتْ في الضَوءْ.

أَربعةُ عَصَافيرْ
كانتْ قَبلَ قليلٍ أَربعةَ عَصَافيرْ.
أَربعةُ عَصَافيرْ
تَتَناثرُ تحتَ النيرانْ.

أَربعةُ عَصَافيرْ
لُفَّتْ بِملاءاتِ الكتَّانْ.

أَرْبَعَةُ عَصَافيرْ
لن تَلعبَ بعدَ الآنْ.

أَربعةُ عَصَافيرْ
عبرَ الشَاشةِ في الأَكفانْ
أَرْ
بَ
عَ
تُ
عَ
صَا
فيرْ.

عمان ٢٠٠١/٧/١٧